الحياة الاقتصادية في ليبيا بالعصر الإسلامي خلال الفترة من : (132-184هـ/479-800م)

د. ربيعة عبدالسلام أحمد خليفة ـ جامعة الزاوية – كلية الآداب العجيلات

The Economic Life in Libya During the Islamic Era (132-184 AH / 479-800 CE)

Dr. Rabia Abdulsalam Ahmed Khalifa
University of Al-Zawiya – Faculty of Arts, Al-Ajilat

Abstract:
This period in Libya extended from 132 to 184 AH / 479 to 800 CE. The significance of studying this era lies in its distinctive economic prosperity, despite the external political turmoil that the region experienced due to internal revolts, external wars, and ongoing political instability. These challenges did not prevent the local population from engaging in economic activities, whether in agriculture, industry, or trade. Taxes were paid to the governing state of the region, whether under the Umayyad or Abbasid rule, as evidence of the region's allegiance to these empires. This contributed to the growth of economic life in the area.

الملخص:
امتدت هذه الفترة في ليبيا من سنة 132 - 184هـ / 479 - 800م" وجاءت أهمية دراستها لما تميزت به من ازدهار اقتصادي بالرغم مما كانت تمر به المنطقة من اضطرابات سياسية نتيجة لقيام الثورات الداخلية والحروب الخارجية، وعدم استقرار سياسي مستمر في المنطقة، إلا أنه لم يمنع سكان البلاد من الاتجاه إلى النشاط الاقتصادي سواء في مجال الزراعة أو الصناعة أو التجارة من أجل سد حاجات أهل

البلاد، ودفع الضرائب للدولة التي يتبعها الإقليم سواء أيام الأموية أو العباسية، كدليل على التبعية لهذه الدول مما أدى إلى نمو الحياة الاقتصادية.

المقدمة:

تتمثل أهمية هذا البحث في أنه يعد محاولة للخروج عما اهتمت به المصادر الأولية التي تركزت على حياة المسلمين السياسية، وتمحورها حول حياة الحكام، وانجازاتهم، فالمطالع للمصادر التاريخية الأولية التي تؤرخ لأحداث القرن الأول الهجري، يلاحظ دون عناء كبير حديثها عن الفتن التي عصفت بديار الإسلام، مما يعاب على مصادرنا إهمالها البحث في موضوعات حضارة الإسلام في حديث متصل أو إفراد أبواب له، اللهم ما كانت توردها في إشارات مقتضبة، فمثال ذلك الحياة الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية، لذلك رأيت اختيار موضوع الحياة الاقتصادية في ليبيا بالعصر الإسلامي بين الموضوعات التي تؤرخ لتاريخ الإسلام الاقتصادي.

هذه وقد تضمن البحث طبيعة الأوضاع الاقتصادية في ليبيا خلال هذه الفترة، لما لهذه الفترة من أهمية في تاريخ الإسلام، هذا العصر الذي ضم الفترة ما بين تمام الفتح الإسلامي، وقيام الدول المستقلة، وتوقف دار الخلافة عن ارسال ولاتها الى هذه البلاد المفتوحة.

وامتدت هذه الفترة في ليبيا من سنة 132 - 184هـ / 479 - 800م" وجاءت أهمية دراستها لما تميزت به من ازدهار اقتصادي بالرغم ما كانت تمر به المنطقة من اضطرابات سياسية نتيجة لقيام الثورات الداخلية والحروب الخارجية، وعدم استقرار سياسي مستمر في المنطقة، الا انه لم يمنع سكان البلاد من الاتجاه إلى النشاط الاقتصادي سواء في مجال الزراعة أو الصناعة أو التجارة من أجل سد حاجات أهل البلاد، ودفع الضرائب للدولة التي يتبعها الإقليم سواء أيام الأموية أو العباسية، كدليل على التبعية لهذه الدول مما أدى إلى نمو الحياة الاقتصادية، ومن هنا جاء تقسيم البحث إلى العناصر التالية:

أولاً - الزراعة والثروة الحيوانية:

أ. الزراعة : تقوم الزراعة في ليبيا في المناطق الزراعية الجيدة التي تتوفر فيها الأمطار، وذلك على امتداد المناطق الساحلية للبحر، وفي الأقاليم المرتفعة حيث تزداد الأمطار، وتتوفر فيها المقومات الطبيعية اللازمة للزراعة، فقد أفادت

المعلومات التي ذكرها بعض الجغرافيون والرحالة المسلمون أن الزراعة في ليبيا كانت تعتمد على المياه المتمثلة في الأمطار الموسمية بصفة أساسية لعدم وجود أنهار بها، كما تعتمد على المياه الجوفية التي تأتي عن طريق الآبار والعيون والينابيع التي انتشرت انتشاراً واسعاً في معظم الأراضي الليبية[1]، فقد تم زراعة عدد من المحاصيل الزراعية سواء البعلية أو التي كانت تروى بمياه الآبار والعيون، ولكن مياه الأمطار والابار والعيون لم تف بالحاجة آنذاك لإرواء كافاً للمحاصيل الزراعية، الأمر الذي دفع المزارعين إلى تخزين مياه الأمطار لاستغلالها في فترات الجفاف واشتهرت بعض الجهات في ليبيا بخصوبة أراضيها، ولأهمية الغلال باعتماد الناس عليها كغذاء لهم، وغذاء مواشيهم، فيعد القمح من أفضل أصناف الحبوب [2] . انتشرت زراعته في شمال ليبيا حول برقة وطليثمة ، وفي المناطق الساحلية الواقعة حول مدينة بنغازي، بالقرب من مدينة سرت معتمداً على مياه الأمطار ، وزرع الشعير في اجدابيا وبنغازي، فيذكر ابن حوقل زراعة الشعير : أكثر" زروعهم الشعير، وإياه يأكلون، وإذا خبز كان أطيبب من خبز الحنطة ولشعيرهم لذة ليس لخبز من أخباز الأرض، لأنه ينفرد بلذة ليست في خبز إلا ما كان في سميد أو حواري قد تألق صانعه فيه [3]، والذرة في الواحات الجنوبية من الإقليم في أوجلة ،وودان ودرنة شمال ليبيا، والقطن الذي زرع في مدينة برقة والمنسوب إليها الذي لا يجانسه صنف من أصناف القطن، وكانت ليبيا تنفرد بميزة زراعية هامة عما جاورها من البلدان، وهي زراعة أشجار النخيل التي غطت مساحات واسعة من المناطق الليبية[4]، فقد اشتهرت زراعته في اجدابيا ،وسرت وتاورغا، ومصراتة، وزليطن، وفي الواحات الجنوبية حول أوجلة وامتازت مدينة ودان بجودة تمورها، وقامت زراعة النخيل في الكفرة وزويلة، وظلت هذه الزراعة موجودة بغزارة في ليبيا حتى الآن، ويرجع لقدرتها الفائقة على تحمل الجفاف حتى إن كثيرا من غابات النخيل توجد في مناطق جافة ولا تحتاج إلى الري، حيث تستفيد من المياه القريبة من سطح الأرض، وتستطيع النمو بنجاح في مناطق السبخة لقدرتها على تحمل درجة عالية من الملوحة، لذا توجد غابات النخيل في بعض السبخات الساحلية مثل سبخة تاورغا [5] ، واشتهرت زراعة بساتين الفاكهة في ليبيا إذ وصف البكري مدينة الرمادة بقوله : "حولها بساتين بأنواع الثمار [6] ، وزرعت بساتين الفاكهة مثل الجوز والسفرجل حول مدينة برقة ومسوس، وكانت شجرة

الزيتون تمثل الغلة النقدية في ليبيا حيث زرع الزيتون حول مدينة برقة وطليثمة، ومن ذلك يذكر العمري أن في جبل برقة أشجار مثمرة من الزيتون [7] ، كما اشتهرت قرية قصر أحمد في طرابلس بزراعته، من أكثر الأقاليم تميزاً في النشاط الزراعي في ليبيا عصر الولاة إقليم أجنة من أقاليم برقة التي كان بها "أجنة ومزارع وثمار [8]، ومدن المرج وطليثمة، ودرنة التي يجري بها نهر نسب إليها، ثم برنيق وهي أرض طيبة للزراعة كثيراً، وبها قصور عدة يخزن فيها [9]، واشتهرت اجدابيا برخصة مزروعاتها، فيقول عنها البكري، بها عين عذبة وبساتين ونبت بها شجر الأرك دون باقي الاشجار [10] ، واشتهرت قرية جنزور من إقليم طرابلس بجودة تربتها وخصوبتها وبمياهها العذبة، وأكثر شجرها الزيتون، وبها نخل كثير وشجر التفاح والرمان والتين، ثم تاجوراء أو تجاوره شرق طرابلس، وفيها عدد من القرى والحدائق المزروعة بالنخيل وبأشجار مثمرة [11] ، أما منطقة الواحات الموجودة في برقة وطرابلس والتي تمتد في برقة من الجنوب المراكشي إلى الواحات برقة مصر وتسمى بلاد النخيل، حيث ينتشر النخيل، وفي ظلاله التي تلطف حرارة الجو الصحراوي تزرع أشجار الفاكهة مثل الكروم والتين والزيتون، كما تزرع بالواحات الحبوب من القمح والشعير، ومن أمثلة تلك الواحات أوجلة، وتقع جنوب غرب برقة وهي ذات نخيل وغلات من التمر [12] ، ومن الواحات الأخرى غدامس وتقع جنوب بلاد الجريدة وعلى بعد ثلاثمائة ميل من البحر المتوسط، النخيل والمياه، أما واحة تاورغا فتقع على تخوم صحراء برقة مسافة مائتان وستين كيلو متر شرقي طرابلس، ويوجد بها الكثير من النخيل[13]، وواحة ودان تقع شرقي غدامس وجنوب مدينة سرت وهي جزائر" نخل متصلة وعمارات كثيرة، وودان ناحية في الجنوب مدينة سرت هما قصران بينها مقدار رمية سهم، والقصر الذي يلي الساحل ،خال والذي مع البرية مسكون، ولها آبار كثيرة، ويزرعون بها الذرة، وبغربيها غابات، وحوله شجر التوت كثير [14]، وتميزت مدينة سرت بزراعة الفواكه كالعنب والتوت والنخيل، وبرخص أسعارها في جميع الاوقات، وكان زرعها يسقى من الآبار العذبة والجباب الكثيرة، واشتهرت لبدة وهي كثيرة بنخلها الكثير وبزراعة الزيتون والشعير [15] ، ومما سبق يتضح أنه في ظل وجود الأرض العذبة الغنية بالأعشاب الصالحة للرعي، والأشجار المثمرة، والغابات الواسعة، يمكن القول بأن الزراعة كانت متطورة ومزدهرة مما

أدى إلى توفر الثروة الحيوانية بكل منتجاتها . العصر الاسلامي ب. الثروة الحيوانية : أدى ازدهار الحياة الزراعية في ليبيا عصر الولاة إلى نمو الثروة الحيوانية وتنوعها حيث ارتبط توزيع الثروة الحيوانية في ليبيا بالاختلافات في بيئته الطبيعية ففي المناطق الساحلية حيث يتوفر قدر من مياه الأمطار أو في مناطق الواحات حيث توجد المياه الجوفية تربى الأغنام والبقر والخيول، لوفرة الأراضي الغنية بالأعشاب والغابات الواسعة، وتعد الإبل من أهم الحيوانات التي تعيش في ليبيا حيث تعيش الإبل في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية، فقد اشتهرت بجودتها حيث وجدت سلالات رئيسية من الابل في برقة وهي السرتاوية متوسطة الارتفاع كثيرة اللبن تستخدم في الاعمال الزراعية، والمهاري ابل خفيفة سرعة قليلة اللبن والوبر تستخدم في الركوب والسفر والصيد والسباق، والإبل المحلية متوسطة الحجم كثيرة الوبر واعتمد عليها السكان في الحصول على اللحوم والألبان، كما سخروها في أعمال الزراعة كالحرث وري المحاصيل [16] ، كما انتشرت الجمال في طرابلس مما كان له أبلغ الأثر في ازدهارها من الناحية الاقتصادية وعندما ظهر الوندال بإفريقية كانت تربيها في كامل رواجها وازدهارها في طرابلس الغرب، ووجدت الأبل أيضاً بالقرب من جبل نفوسة، حيث يذكر أن في أطراف هذا الجبل قوم ينتجون الإبل ويركبون أقصاها ويسير فرقا إلى ما تباعد عنهم من قبائل العرب فيضربون عليهم وأوسعها خطأ، ويغيرون على إبلهم [17] ، وحازت الخيول في ليبيا بشهرة واسعة اذ تميزت بقوة بنيتها والعناية بها، أما برقة كانت من أهم المناطق في تربية الخيول، واستخدامه في [18] الحروب، وجعلها من عوامل النصر فيصفها الذهبي بقوله : "وخيل برقة من اقوى الخيل ويكفي أن يقال الخيل "البرقية إما العمري فيقول "أما خيل برقة فهي من أقوى الخيل بناء، وإن قيل خيل برقة كفى، وقد جمعت بين سبق العربيات وصلابة حوافر البراذين وثباتها على الجبال والوعور وفحول الخيول البرقية، أنجب من إناثها [19] ، وكان لليبيا نصيب وافر من الأغنام التي تعتبر من أهم أصناف الماشية لوجود المرعى الجيدة، مما أدى إلى كثرة أعدادها وخاصة ببرقة وطلميثة حيث يذكره ومن آخر أعماله طلميثة يكون أول عمالة هيب ورواحه، وهم قبائل من العرب أهل أبل واغنام وثروة آمنة وادعة [20]، كما يوجد الماعز في بعض الواحات الجنوبية مثلما الحال في ودان من أجل الحصول على ألبانها، وتميزت سرت

بجودة لحومها من الماعز، حيث يذكر ابن حوقل بان لحوم مدينة سرت من الماعز أغذى من الضأن وانفع، وتقوم لحوم الضأن فيها مقام لحم الماعز تعتبرها لأنها أهلها والسافرة المحتاجين من أجل مراعيها...[21]، كما كان لمنطقتي فزان وبرقة نصيب من الثروة التي كانت منتشرة في هاتين المنطقتين حيث اشتهرت بعض الواحات مثل ودان وهلال ، وسوكنة باحتواء جبالها على أعداد كبيرة من الأبقار الوحشية التي اشتهرت باسم الودان بالإضافة إلى ما كان بهذه المناطق من حيوانات أخرى كالأسود والنمور والزرائف والضباع والذئاب والغزلان مثل الغزال الأبيض الذي يعيش في الأراضي شبه الصحراوية، كما وجد الفهد الحبشي، يتميز بسرعة عدوه ووجد بالإقليم الليبي أصناف عديدة من الطيور البرية كالعصافير والسماني والحباري والصقور والحجل الذي استوطن هذه المنطقة منذ أقدم العصور [22] ، وتميزت الأراضي الليبية بازدهار تربية النحل فيها نتيجة الاهتمام به، وخاصة في برقة التي كان العسل من أكثر السلع رواجاً في أسواقها حتى إن الفائض منه يصدر إلى الاسكندرية [23] بحرا ويذكر الإدريسي عن وجود عسل برقة وكثرته بالحبال والقصور الواقعة بالقرب من طلميثة قوله، "وفي هذه الجبال وبعد البندرية على نحو عشرة أميال قصر كبير يسكنه قوم من لخم القصر بهم، وأهله كلهم عساله يتخذون النحل ويشترون عسلها..[24]، ويسمى ويتضح من خلال ما ورد أن ليبيا امتلكت ثروة حيوانية وزراعية هائلة، استفادت منها في تحسين أوضاعها الاقتصادية.

من العرض السابق يتضح أن ليبيا امتلكت ثروة حيوانية وزراعية هائلة مكنتها من تحسين أوضاعها الاقتصادية رغم الأوضاع السياسية المضطربة والتي كان لها تأثير كبير على الحياة الاقتصادية.

ثانيا ــ الصناعة : اقتصرت الحياة الاقتصادية في ليبيا على الصناعات المحلية البسيطة، والتي كانت سائدة في كل عصر ، والتي تعتمد على المنتجات الزراعية والحيوانية، وترتكز على السلع الاستهلاكية التي لابد من إنتاجها محلياً، مثل العسل والتمور والزيتون والزيت وبعض الصناعات الحرفية الأخرى، كما أن كثرة أشجار الفاكهة والحمضيات وما تنتجه من ثمار، دفعت بالسكان إلى صناعة التمور والتين المجفف، وكذلك قامت صناعة عصر الزيت التي اشتهرت بها منطقة برقة لكثرة أشجار الزيتون التي كانت تزرع فيها، حتى أنه بلغ مقدار الخراج الذي كان منها

أيام هارون الرشيد" أربعة وعشرين ألف دينار، فقد استغل سكان هذه يجي المنطقة المعاصر الرومانية القديمة والمنتشرة بشكل واضح بالقرب من أماكن زراعة الزيتون[25] ، وقامت بها صناعة طحن الغلال والحبوب إذ أن الغلال كانت تمثل الغذاء الرئيسي للسكان سواء العامة أو الخاصة، هذا كما اشتهرت سرت بالشب الذي كان ينسب إليها وكان يستخرج من الأرض المحيطة بها ويصدر إلى مصر وغيرها من الأقاليم [26] ، وظهرت في ليبيا صناعات تعتمد على الثروة الحيوانية مثل صناعة الدباغة والنسيج والغزل والحياكة والمنسوجات الصوفية، ففي برقة كانت تصنع الثياب والأكسية، فيضع فيها نوع خاص جدا من الثياب الثمينة أشار المقدسي إلى طريقة صنعها بقوله أبو قلمون، وهي دابة تحتك بحجارة على شط البحر، فيقع منها وبرها، وهو لين الخز، لونه الذهب، لا يغادر منه شيئاً وهو غزير الوجود، فيجمع وينسج منه ثياب تتلون في اليوم ألواناً [27]، وفي طرابلس يذكر ابن حوقل أنها كانت مركزا لصناعة المنسوجات الصوفية الراقية متعددة الأغراض "وطيقان الأكسية الفاخرة، والكحل النفوسية، والسود والبض الثمينة" [28].

ولم يقف الأمر عند صناعة الملابس الصوفية بالأكسية في الإقليم، وإنما كان يصدر منهم الفائض إلى المغرب ومصر، واشتهرت غدامس بصناعة دبغ الجلود، التي نسبت إليها وهي من أجود الدباغ لا شيء يفوقها في الجودة، كأنها ثياب الخزفي النعومة والإشراق"، وكان الجلد الغدامسي يدبغ بمادة تستخرج من شجرة تسمى "التاكوت تجلب" من مدينة درعه، كذلك كان لبرقة مدابغ جلود البقر والنمور التي تجلب إليها من أوجلة وكان القطران يصنع في قرية تسمى مقة، تقع على جبل وعر، وقصر بني لخم، حيث استعمل سكانه العرعر في استخراج القطران، هاماً من ثم يسافرون به إلى الأراضي المصري، وقد ساعدت هذه الصناعة على قيام بعض الصناعات في المدن الليبية الأخرى مثل صناعة الأحذية وبعض الأدوات الجلدية والسروج المستخدمة في ركوب الخيل والجمال [29] ، ومما لاشك فيه أن كثرة أشجار النخيل في ليبيا، ساعد على انتشار صناعات قائمة على النخيل مثل صناعة أسقف وأعمدة المنازل، والنوافذ، كما يصنع من التمر الخل والخمر، بالإضافة إلى استغلال النواة في صناعة العلف للحيوانات [30]، وكانت زويلة مركز صناعة الزجاج في بلاد المغرب [31] ، كما اشتهرت برقة بصناعة بناء السفن حيث أنشأت طبرق دارا لصناعة

السفن الحربية، كان الغرض منها غزو بلاد الروم [32] ، واختصت طرابلس باستخراج الملح من السبخات الكثيرة التي كانت منتشرة على سواحلها الشرقية ومن أهمها سبخة جليانة وسبخة الكيش وسبخة السلماني، وتصدر الفائض منها إلى الأقطار الافريقية المجاورة عن طريق القوافل البرية [33]، وتوفرت بعض المعادن في ليبيا مثل الكبريت الذي كان يجمع من مقاطع بالقرب من سرت، وقد بلغ هذا المعدن من الوفرة بحيث أن الحجاج والمسافرون كانوا يُحملون عددا من أابلهم بالكبريت ويقومون ببيعه في مصر وطرابلس، كما توفر هذا المعدن في طلميثة، وتوفر معدن الحديد بجبل طنطنة بالقرب من ودان والذي صنعت منه بعض الأدوات الفلاحية والمنزلية [34]. نلاحظ اقتصار الحياة الاقتصادية على الصناعات المحلية البسيطة التي صنعت لسد الحاجات المحلية إلا أن هذه الصناعات كان لها دوراً بارزاً في النهوض بالحياة الاقتصادية في ليبيا عصر الولاة بهذه الفترة .

ثالثاً ـ التجارة: أدى الفتح الإسلامي ودخول عدد كبير من أهله في دين الله أفواجاً، ونشر الإسلام اللغة العربية فيه، واختلاط العرب وغيرهم من المسلمين بأهل البلاد بالتزاوج والتوالد، وكثرة العلاقات والرحلات بين هذه البلاد بعضها ببعض، ووفرة الدخل العام في مصر وأفريقية والشام حتى أواخر القرن الثاني الهجري إلى قيام حياة اقتصادية مزدهرة على شواطئ البحر المتوسط، وأصبح التجار يدخلون بلاد المغرب من جميع الأجناس، ويتبادلون مع أهله المعاملات والسلع، فإن ازدهار التجارة يحتاج إلى عدة مقومات وعوامل، ويعد الموقع الجغرافي من أهمها، فقد أعطى موقع ليبيا دورا متنوعا وحيوياً في نشوة حركة التجارة بين الشمال والجنوب، وأثر بشكل إيجابي على نشاطه التجاري، حيث لعبت المدن الليبية الواقعة على الساحل ومدن جبل نفوسة دورا كبيرا في ازدهار حركة التبادل التجاري، كما شكلت الواحات الليبية أهمية بالغة فيما عرف بتجارة القوافل، مما جعلها تستحق تسمية (مدن القوافل) [35] ، ولقد استمدت هذه الواحات أهميتها من كثرتها وبروزها كمحطات ومراكز هامة في التبادل التجاري، كما كان لمنطقة فزان التي تضم معظم الواحات أهمية متميزة في تسهيل عملية التبادل التجاري وإحكام الصلة بين هذه الواحات والمناطق الإفريقية إلى جانب تأمين طرق القوافل بين الشمال والجنوب، بالإضافة إلى وفرة منتجاتها الزراعية والحيوانية، وصناعتها المحلية البسيطة المتنوعة، جعلها تشهد حركة تجارية

واسعة بنوعيها الداخلي والخارجي، والازدهار حينا والجمود حينا آخر [36]، وتظهر الحركة التجارية هذه في العديد من المصادر التي تحدثت عن أهمية بعض المدن الليبية، كمراكز للتجارة ، مثال ذلك ما أورده ابن حوقل عن برقة بقوله : "وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل وقت ما لا ينقطع طالاً لما فيها من التجارة، وعابرين عليها مغربين ومشرقين، وذلك أنها تنفرد في التجارة بالقطران الذي ليس في كثير من النواحي، والجلود المجلوبة للدباغ بمصر، والتمور الواصلة إليها من جزيرة أوجلة، ولها أسواق حارة من بيع الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت، وضروب المتاجر الصادرة من المشرق، الواردة من المغرب وأسعارها بأكثر الأوقات فائضة بالرخص في جميع الأغذية [37] ، أما بالنسبة لطرابلس فقد وصف البكري "أسواق مدينة طرابلس بأنها حافلة جامعة [38] ، ووصف صاحب كتاب الاستبصار أهلها: بأن أكثرهم تجارا يسافرون برا وبحرا، ولهم سمح في تجارتهم وهم أحسن الناس معاملة [39]، فهناك اتصال تجاري بين غدامس وطرابلس من جهة وبعض بلاد السودان من جهة أخرى، فكان التجار يتوجهون لتجارة مع تنبكتو، وقد ساعد على ازدهار الحركة التجارية بين غدامس وتلك المدن المصنوعات الغدامسية التي قامت نظيراتها في اتقان الصنعة، فكانت الجلود الغدامسية من أجود أنواع الجلود في تلك الفترة، وكانت تدخل في بعض الصناعات التي تصدر إلى البلدان عبر الدروب الصحراوية [40] ، وفزان نظرا لموقعها المتميز في الصحراء حيث تتناثر فيها الواحات المأهولة بالسكان، والتي تشكل أكبر مجموعة واحات في الصحراء الكبرى وهي من أهم المراكز التجارية الصحراوية التي شهدت استقرار المسلمين المبكر بها، فكانت زويلة مقرا للولاة قبل تأسيس القيروان واستقرار العرب فيها جعلهم يتصلون بمنطقة بحيرة تشاد ونهر النيجر، عبر طريق الجرمانتين القديم، حيث لعبت قبيلة هوارة دورا في الاتصال واتخذت زويلة مركزا لنشاطها التجاري من عام 193هـ / 760[41] ، فأصبحت رائجة بأسواقها العامرة بمختلف البضائع الواصلة إليها من مختلف الجهات وشهدت الأسواق في ليبيا. ة في فترات الهدوء التي سادت المنطقة تنظيماً للحرف والأسواق، فكانت أسواقها عامرة بالبضائع سواء التي تأتيها من الشرق والمغرب، أو ما تنتجه ليبيا وتصدره إلى البلاد الأخرى، وشملت أسواق كثيرة حيث غالبية مدنها، إذ قامت أسواق في طلميثة وبرقة، وكانت السفن القادمة من الاسكندرية تحمل الكبريت والقمح

والشعير، وكانت إجدابيا عامرة بالأسواق يقصدها التجار ويقيمون فيها، لما فيها من الحمامات والفنادق [42] ، الكثيرة واشتغل غالبية أهل أوجلة بالتجارة، لذا كثرت بها الأسواق، وانتشرت الأسواق في هذه الفترة بودان التي اشتهرت بتصدير التمور، وزويلة التي يقول الإدريسي عن أسواقها : بها أسواق والمسافر إليها يأتيها بأمتعة من جهازها [43] ، وحفلت طرابلس بأسواق كثيرة وصفها ابن حوقل "ذات ربض صالحة الأسواق، وكان لها في ربضها أسواق كثيرة [44]، كما أشاد الإدريسي برحابة أسواقها، ودقة تنظيمها وبجمال شوارعها ونظافتها [45] ، ومن خلال حديث الحموي عن سبرت يتضح أنها كانت السوق القديم لطرابلس، إذ يقول "... وسبرت السوق القديم، وإنها نقلة إلى نبارة عبد الرحمن بن حبيب سنة 131 [46] ، واشتهرت لبدة بسوقها العامرة وبتجارة زيت الزيتون وسرت ترد المراكب عليها بالمتاع وتصدر عنها بشيء منه، كالشب السرتي فإنه بها غزير[47], واشتهرت من مدن جبل نفوسة مدينة جادو بأسواقها العامرة [48].

ويتضح لنا مما سبق أن التجارة في ليبيا ازدهرت بدخول الإسلام إلى بلاد المغرب، واعتناق عدد كبير من أهله للإسلام واختلاطهم مع العرب وغيرهم من المسلمين بالتزاوج، وكثرة العلاقات والرحلات فيما بين هذه المناطق مما أظهر أهمية التجارة في ازدهار الحياة الاقتصادية.

الخلاصة :

من خلال العرض السابق يتضح لنا أن ليبيا بهذه الفترة كانت غنية اقتصادياً بتوفر المظاهر الاقتصادية بأنماطها وأنواعها المختلفة من زراعة، وثروة حيوانية بكل منتجاتها، وصناعات محلية، كذلك التجارة التي كانت تمثل ثقلاً اقتصادياً يمد القوى السياسية التي وجدت في المنطقة بعوائد مالية ونقدية كبيرة ، وانتشار أسواقها في العصور الإسلامية ،المتلاحقة، كل هذا في ظل الاضطرابات السياسية التي كان يسودها فترات من الهدوء النسبي.

النتائج:

1- نلاحظ خلال هذه الفترة التي شملها هذا البحث التركيز على الحياة الاقتصادية بمظاهرها المختلفة لما لها من تأثير على الحياة السياسية والاجتماعية

2- يتضح أهمية التجارة لكونها تمثل دعما اقتصادياً، يمد القوى السياسية التي المنطقة بعوائد نقدية كبيرة.
3- اسهم هذا البحث في فتح المجال أمام الباحثين لأهمية العامل الاقتصادي في ليبيا عبر العصور بداية بالعصر الاسلامي.

الهوامش:

1. أحمد بن يعقوب البلدان، دار احياء التراث العربي، ط1، 1988م، ص54.
2. الطنفدي، زهر ،البستان مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم 6 زراعة ورقة 200؛ الظاهر حمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1977م، ص37.
3 أبو القاسم ابن حوقل صورة الأرض، دار الحياة، بيروت، 1979م، ص 95-97. 4. المقريزي جني الأزهار ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، ورقة 24، رقم؛ علي فهمي خشيم نصوص ليبية طرابلس بليبيا، ص123.
5. محمد الأدريسي، نزهة المشتاق، مكتبة الثقافة، القاهرة، 2002م، ص310. 6. أبو عبدالله البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص4.
7 شهاب الدين فضل الله العمري، مسالك الأبصار ، المانيا، 1984م، ص163. .8 أحمد بن يعقوب البلدان، مرجع سابق، ص4.
9. عبد الرحمن بن خلدون العبر ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ج2، ص639؛ العبدري رحلة العبدري تح: محمد الفاش، الرباط، 1968م، ص 90.
10 . أبو عبدالله البكري، المسالك والممالك، ت. ح : اردبان فان، الدار العربية للكتاب، تونس، 1998م، ص144.
11 . الحسن الوزان وصف إفريقيا ت عبد الرحمن حميدة، جامعة الرياض، د.ت. ص 155.
12 محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار، ت.ح: إحسان عباس، دار القلم بيروت، 1975م، ص64.
13. أبو الفداء، تقويم البلدان، تح رينودي ،سيلان، باريس، 1840م، ص 147.
14. الادريسي، مرجع سابق، ج1، ص99.
15 . البكري، المغرب، ص7.

16. نقولا زيادة، ليبيا في القصور الحديثة، دار الرائد، القاهرة، 1966م، ص 11.
17. مصطفى عبد الله بعيو، دراسات في التاريخ الليبي، الاسكندرية، 1953م، ص 181.
18 . الذهبي، دليل العبر تح محمد راشد عبد المطلب، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، د.ت، ص134.
19. شهاب الدين فضل العمري، مرجع سابق، ص163.
20 محمد الادريسي، نزهة المشتاق، مرجع سابق، ج1، ص 319.
21. ابو القاسم بن حوقل، مرجع سابق، صورة الأرض، ص 68.
22. عياد موسى العوامي، الحيوانات البرية الليبية، منشورات جامعة عمر المختار البيضاء، 1997م، ص 119 ؛ انس الملا ابن مكتلي ،ت، ح: عيسى صالحيه 1993م، ص133.
23. شمس الدين المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، دار صادر، بيروت، 1906م، ص186.
24 . محمد الادريسي نزهة المشتاق، مرجع سابق، ص319.
25 شهاب الدين العمري مسالك الابصار، مرجع سابق، ص 67؛ ابراهيم حركات، النشاط الاقتصادي الاسلامي في العصر الوسيط، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1996م، ص 103.
26. ابو القاسم ابن حوقل صورة الأرض، مرجع سابق، ص ص 67-68.
27. شمس الدين القديري، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص240-241.
28. ابو القاسم ابن حوقل صورة الأرض، مرجع سابق، ص70.
29 ابو عبد الله البكري، المغرب؛ عبد اللطيف محمود البرغوثي، تاريخ ليبيا الاسلامي منشورات الجامعة الليبية، بيروت، 1973م، ص289.
30 . جمعية جالوت للتراث، مجاه البريد طرابلس، ليبيا، العدد 12، 1999م، ص 11.
31. لويس ارشبياليد القوى البحرية في حوض البحر المتوسط، ت: أحمد عيسى، النهضة، القاهرة، 1960م، ص 263 .
32. محمد مصطفى بازمة مدينة بنغازي عبر التاريخ، دار ليبيا، بنغازي، 1968م، ص 35-36.
33 . البرغوثي، مرجع سابق، ص 290.
34 . المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب تح محمد العريان، القاهرة، 1963م، ص 298.
35. أحمد أمين ظهر الاسلام مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط3، 1998م، ج1، ص 294؛ محمد المبروك يونس، موقع ليبيا ودوره في التواصل الحضاري العربي الافريقي، طرابلس، د.ت، ص29.
36 . ابن خلدون العبر، ج1، ص 72-73
37 . ابو القاسم ابن حوقل صورة الارض، مرجع سابق، ص 67-68.
38. ابو عبد الله البكري ،المعرب مرجع سابق، ص7.

39 . نفس المرجع السابق، ص 101.
40 . الهادي المبروك الدالي ملكة مالي الاسلامية، طرابلس ليبيا، د.ت، ص91-95.
41 . محمد سعيد القشاط صحراء المغرب الكبرى، ،طرابلس ،د.ت ص17؛ احمد الياس حسين طرق التجارة في الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى، مجلد الصحراء الكبرى، منشورات مركز الجهاد ،طرابلس، 1979م، ص212.
42. شمس الدين المقدسي، مرجع سابق، ص235.
43. محمد الادريسي نزهة المشتاق مرجع سابق، ص 100.
44 أبوالقاسم بن حوقل صورة الأرض، مرجع سابق، ص 70.
45. محمد الادريسي، نزهة المشتاق، مرجع سابق، ص184.
46. احمد بن يعقوب معجم البلدان مرجع سابق، ص184.
47. محمد الادريسي، نزهة المشتاق، مرجع سابق، ص97.
48 شهاب الدين العمري، مسالك الأبصار ، مرجع سابق، ج2، ص92.